من الادب الايطالي

الافكار الثلاثة للحدباء الصغيرة

قصة بقلم : لويجي بيراندللو

ترجمة : خليفة محمد التليسي

ظلت حتى عامها التاسع ، تتمتع بهيكل طبيعي ، فقد ولدت ميلادا طبيعيا ، ونمت نموا طبيعيا . وحين بلغت التاسعة ، فكأنما اخرج القدر قبضته الغليظة الخفية من الظلام ، وانزلها على رأسها قائلا : الى هنا .. ومن هناك ، فجأة توقفت عن النمو ، وظهر على ظهرها نتوء ، وظلت مشدودة الى الارض لا تزيد قامتها على متر .

وادرك الاطباء في الحال ، مستعينين بعلمهم وبكل ما لديهم من خبرة ، بأنها لن تنمو اكثر مما نمت ، وقرروا احكامهم في كلمات علمية مختصرة . ولكن هيهات ان تقتنع ساقاها وصدرها بالتوقف عن النمو ! .. فصدرها لم يتوقف عن النمو منذ اليوم الذي ولدت فيه ، وتحركت ارادة النمو في ساقيها دون الاهتمام باي تعليل او تفسير . ولما كان من المتعذر ان تنمو طولا تحت وطأة تلك الضربة الماحقة ، فقد نمت عرضا .. فالساقان اعوجان ، اما نصفها الاعلى فقد احدودب من الامام والخلف ، كل ذلك لكي ينمو ! ..

الا ينشأ كثير من الشجر وقد علقت به العقد والنتوءات ، او باغصان كسيحة ؟ .. ان ذلك يحدث غالبا ولكن مع هذا الفارق ، ان الشجرة ليس لها عيون تبصر بها ،ولا قلب تحس به ، ولا عقل تفكر به .. ان الشجر الكسيح لا يتخذ سخرية ولا هزأة من قبل الاشجار الطويلة ، ولا تتحاشاه نظرات الناس خوفا من العين الشريرة،ولا يهرب عنه الطير . اما هي فمسكينة .. يهرب منها الصغار والكبار . ثم ان الشجرة لا تقع في الحب ولا تعرفه ، انما تزهر في مايو ، تلقائيا وطبيعيا رغم كساحها ،وتثمر في الخريف .

انها شيء اسيء اخراجه ، ولا يمكن اصلاحه بأي وجه من الوجوه. فالذي يكتب رسالة ثم لا تروقه يمزقها ، ويعيد كتابتها من جديد .. ولكن الحياة لا يمكن أن تمزقها مرةواحدة ثم تبدأها من جديد .. هذه مشيئة الله .

وتجد نفسها في بعض الاحيان ، تنصرف عن الايمان بالله حين تأمل ما يحيط بها من واقع اليم ، ولكنها كانت تؤمن به ، وهي تؤمن بالذات لانها ترى ذلك الواقع المؤلم .. اي تفسير احسن من هذا الذي يقنعها بأن العذاب الذي عاشته طوال حياتها ، وتقبلته في براءة ودون ذنب ، لا بد ان يزول في لحظة خاطفة ، ثم تجد نفسها مستقيمةالقامة، رشيقة الخطو ، سريعة ،سامقة ، وقد زال جميع ذلك العناء .. انه لواضح ان الله ، لغاية لا تعرفها ، اراد لها هذا المصير ، وينبغي ان تتظاهر بالايمان ، والا فانهاستكون يائسة. وهي حين تفسره بهذه الطريقة ربما رأت في المها العظيم ، خيرا عظيما وجليلا ، وهناك في السماء .. اي ملاك جميل ستكون كلمنتينا ؟! ...

وها هي تبتسم في بعض الاحيان للناس الذين يتطلعون اليها في الشارع ، كأنما تريد ان تقول : (لا تضحكوا مني .. الا ترون انني اسبقكم الى الضحك ؟! .. انني لم اصنع نفسي ، لقد اراد الله ذلك، فلا تتضايقوا ، ولن اتضايق انا ايضا ، لان الله اذا اراد هذا ، فاني متيقنة انه يدخر لي جزاء في المستقبل) .. وعلى كل حال فان الساقين لا يظهران تحت الثياب ،ان الله وحده هو الذي يعلم ما تكابده من الام عندما تمشي بتينك الساقين .. ومع ذلك كانت تبتسم ! ..

وزاد من المها ذلك المجهود الذي تبذله حتى لا تبدو بمظهر المتمايلة المترنحة ، وحتى تجنب نفسها نظرات الناس . كان من المستحيل ان تمر دون ان يلاحظها احد . ولكنها كانت تسير بخطوات خفيفة ، سريعة،في احتشام ، وهي تبتسم .. ولم يكن طريقها يخلو من بعض من يواجهها بقسوة ، ويلاحظها بوجه يكتسي مسحة من الاسف ، ولكنه لا يلبث ان يعود اليها من الطوار الاخرى كأنه يرغب في فهم ما تصنع بتينك الساقين عندما تمشي ... ولا تفلح ابتسامتها المعتادة ، في ان ترد تلك النظرات الفضولية أو تخجلها .. فتخجل هي ، ويتضرج وجهها،وتطرق برأسها حتى تكاد تفقد توازنها وسيطرتها على نفسها ، فتوشك على الوقوع والتدحرج على الارض ، وحينئذ يزداد حنقها وغضبها ، فترفع ثيابها ، وتصرخ في وجه الفضولي القاسي :

ـ ها .. انظر . ودعني الان امشي في سلام .

لم يعرفها احد في هذا الحي حتى الان .. غيرت كلمنتينا مسكنها منذ اسابيع قليلة . كان الجميع يعرفونها في ذلك الحي الذي كانت تسكنه سابقا ، ولم يعد يضجرها احد هناك ، سيكون هذا مصيرها هنا في هذا الحي .. بعد قليل ، ولكن لا بد من الصبر .. انها سعيدة جدا بالبيت الجديد ، الذي يقوم في ميدان هادىء نظيف.وهي تعمل من الصباح الى المساء ، بلطف ومهارة في صنع بعض اجهزة العرسان والمواليد .

أما اختها (كان لكليمنتينا أخت تسمى لاورتا ، تصغرها بخمس سنوات ، وهي مستقيمة القامة ، رشيقة وجميلة جدا ، شقراء) فتعمل صانعة ازياء في أحد المتاجر .. تخرج من الثامنة صباحا فلا تعود الا في السابعة مساء . لقد تناوبتا وظيفة الام .. قامت بها كلمنتينا اولا، وتقوم بها الان لاورتا ، رغم انها اصغر سنا . ولكن ماذا تفعل ، اذا كانت كلمنتينا ، قد ظلت بفعل الكارثة التي حلت بها ، كأنها طفلة في العاشرة ! .. لقد اكتسبت لاورتا خبرة عظيمة من الحياة .. ترى ماذا يكون مصيرها ، لو لم تكن الى جانبها ؟ .. وغالبا كانت كلمنتينا تصغي الى اختها ، وهي فاغرة الفم ، مندهشة ، ذاهلة ، هاتفة : بحق المسيح، يا لها من اشياء غريبة ، هذه التي تتحدثين عنها . وهي تعرف الان ، انها بساقيها المشوهتين ، لا يمكنها ان تدخل ذلك العالم الغريب الذي تدخله اختها ، انها لا تحسدها ، ولكنها تحس بخوف غامض ، يمتزج بلوعة واسف على نفسها .. فبين يوم واخر ، ستنغمس اختها في ذلك العالم الذي خلق لها ، وكيف يكونحا ل كلمنتينا المسكينة حينذاك ؟ ..

لقد اكدت لها اختها واقسمت انها لن تتركها ، ولن تتخلى عنها ابدا ، ولو تزوجت .

وكلمنتينا تفكر الانفي زوج اختها المقبل : ترى من يكون ؟ .. وكيف يتعارفان ؟ .. ربما يتلاقيان في الشارع ، نظرة ، ثم ملاحقة، وقفة مناجاة في احدى الامسيات .. ترى بماذا يتناجيان ؟ .. انها لشيء سخيف هذه المغازلة . وبعينين والهتين كانت تجلس امام منضدة قرب النافذة ، تسبح في خيالاتها . لا تجد القدرة على مباشرة عملها المركب على جهاز الا تطريز ، وتنظر خارج النافذة .. ما هذا الذي ترى ؟ ! ...

انه شاب ! .. شاب جميل أشقر ، ذو شعر مسترسل طويل ،ولحية كلحية الرهبان ، يطل من نافذة البيت المقابل ، معتمدا بذراعيه على حافة النافذة ، واضعا رأسه بين يديه .

اهذا ممكن ؟!.. ان نظرات الشاب مصوبة اليها في حدة عجيبة!.. يا الهي ما أشد سحوبه !.. لا بد ان يكون مريضا .. ان كلمنتينا تراه للمرة الاولى ، في تلك النافذة ، وها هو يتابع النظر اليها ، وتضطرب كلمنتينا ، فترسل زفرة تشعرها بالراحة والانتعاش . وكانت اول فكرة طافت بذهنها هي هذه :

ـ انه لا ينظر الي .

لو كانت اختها لاورتا في البيت ، لكان من المحتمل ان تفكر أن هذا الشاب انما ينظر اليها ، ولكن لاورتا لا تمكث ابدا في البيت اثناء النهار . ربما كانت في نافذة البيت الصغير المجاور فتاة جميلة يبادلها الغرام .. ولكن نظراته تدل على انه ينظر اليها ! .. اليها هي بالذات.. ان هذا مستحيل ! ... ماذا ! ... لقد اشار اليها الشاب بيده كأنما يحييها ، هل التحية اليها؟!.. لا . لا .. لا بد ان تكون فتاة اخرى تطل من نافذة اخرى .

واطلت كلمنتينا من النافذة ، بعد ان صعدت الكرسي الذي صنع خصيصا لها ، ودون ان تشعر ، نظرت الى النافذة المجاورة ، ثم النافذة الاخرى ، ثم نظرت اسفل نافذتها حيث الدور السفلي ، ثم الى نافذة الدور العلوي . ليس هناك احد في جميع هذه النوافذ ! ...

وفي استحياء ، نظرت الى الشاب نظرة خاطفة ، فاذهلها ان يشير اليها من جديد .

هذه المرة ، لا يمكن ان تشك ، في انه يشير اليها بالذات.وهربت كلمنتينا من النافذة ، وهربت من الحجرة وقلبها يخفق بشدة . ما اغباها ! .. لا بد ان يكون هناك خطأ ، ذلك مؤكد .. ان ذلك الشاب لا بد ان يكون ضعيف البصر ، ربما توهمها لاورتا .. اجل . ربما لاحق لاورتا في الطريق ، وعرف انها تسكن هنا ، في البيت المواجه .. انه لا يمكن ان يكون ضعيف البصر اذن ، بل هو اعمى تماما ، ومع ذلك لا يضع نظارات على عينيه، حقا . ان كلمنتينا ليست قبيحة الوجه ، انها تشبه اختها قليلا ، ولكن القوام ؟! ... ذلك هو مصابها .. من يدري ، ربما توهمهما في مجلسها ذاك ، فوق الوسادة على الكرسي ، وأمام جهاز التطريز ، فخدعه بصره ، وظن انه يرى لاورتا منصرفة الى العمل .

وفي مساء اليوم نفسه ، سألت أختها ، التي أسقط في يدها وتساءلت :

ـ اي شاب ! ...

ـ انه هناك .. امامنا .. الم تنتبهي اليه ؟! ...

ـ انا ؟ .. كلا . من يدون ؟ ..

ووصفته كلمنتينا بدقة متناهية ، وصرحت لاورتا بانها لا تعرفه ، ولم تعرف عنه شيئا ، ولم تقابله ابدا ، ولم تره ابدا من بعيد او قريب.

وتجددت الحكاية في اليوم التالي .. هو هناك في نفس الوضع وقد اسند ذراعيه الى النافذه ، ورأسه الجميل بين يديه ، وكان ينظر اليها بنفس النظرات الملحة العجيبة ، التي كان ينظر بها في اليوم السابق . ولم تعد كلمنتينا تشك في أن ذلك الشاب ، الذي يبدو حزينا ملتاعا ، انما يريد أن يبهج نفسه بالسخرية والاستهزاء بها . ولكن لماذا يفعل ذلك ؟ .. انها متكوبه مسكينة ، لا تستطيع ابدا ان تأخذ هذه السخرية المرة مأخذ الجد ، ولا تستطيع ان تخدع نفسها بهذا الحب الذي يحاول ان يملأ به قلبها ، واذن ؟ .. انه يعيد نفس الاشارة التي قام بها امس.يحييها بيده ، ويحني رأسه اكثر من مره ، كأنما يريد ان يقول : (اليك .. اجل . اليك) .. ثم يخفي وجهه بين يديه ، في الم واضح .

ان كلمنتينا ، لم تعد تقدر على البقاء هناك قرب النافذه ،وهبطت عن كرسيها ، خافقة القلب ، كأنها حيوان صغير محاصر ، وتوجهت الى نافذه الحجرة المجاورة ، ترقب الشاب في خفاء ، خلف الستائر المسدولة دون النوافذ ، رأته يبتعد عن النافذة ، ولا ينظر الى الخارج، ولكنه يلتفت قلقا من حين الى اخر نحو نافذتها ليرى ما اذا كانت قد عادت .. انه ينتظرها ! ...

ماذا تفترض كلمنتينا ؟ ...

لقد طافت بذهنها هذه الفكرة الثانية :

ـ انه لا يرى جيدا هيئتي وتكويني ..

وفكرت في هذا التخلص : ان تدنو من المنضدة القريبة من النافذة ثم تأخذ قطعة قماش ، ثم تصعد فوق المنضده ، ولو بصعوبة ، ثم تقف على قدميها ، منظاهرة بتنظيف زجاج النافذة .. وهكذا يمكنه ان يتبينها تماما ويرى هيئتها ، ويتركها في سلام .

ولكن كلمنتينا كادت تسقط في الشارع ، وتهوي من النافذه،حين فطنت الى أن الشاب قد أبصرها في ذلك الوضع ، فوقف واخذ يشير اشارات غاضبة ، معبرة عن خوفه عليها ، مشيرا اليها بأن تنزل ... لتنزلي .. ويضم يديه الى صدره ، في هيئة رجاء ، ثم يضع رأسه بين يديه ، صارخا فيها .. اجل . انه يصرخ الان .

ونزلت كلمنتينا عن المنضدة ، باسرع ما يمكن ، ونظرت اليه بعينين ذاهلتين ، وهي ترتجف . ونظر اليها بعينين جاحظتين ثم مد يده نحوها ، وبعث اليها بقبلاته .

ـ انه مجنون ..

هكذا فكرت كلمنتينا، وهي تضم يديها في اسف .

ـ مجنون .. يا الهي انه مجنون .

واكدت ذلك اختها لاورتا حين عادت في المساء .. فقد اثار فضولها ، اسئلة اختها كلمنتينا ، فتحرت عن ذلك الشاب ، وتعقبت اخباره ، فقيل لها انه قد جن منذ عام تقريبا ، حين ماتت خطيبته التي كانت تسكن هناك .. حيث تسكن الان لاورتا وكلمنتينا .. وقبل ان تموت تلك كانت قد بترت ساقها الا ولى ،ثم الثانية ، بسبب مرض خبيث .

وهذا هو السبب الذي ملأ عيني كلمنتينا بالدموع حين اصغت الى اختها ، وهي تقص تلك الحكاية ... ترى .. أكانت تبكي نفسها ؟ .. ام تبكي ذلك الشاب ؟ .. ثم ابتسمت ابتسامة شاحبة ، وقالت لاختها لاورتا ، في صوت مرتجف :

ـ لقد تصورته .. اتدرين ؟ .. كان ينظر الي .

البيضاء ـ ليبيا — ترجمة خليفة محمد التليسي

صدر حديثا :

أعياد

مجموعة قصص

بقلم

عبد الله نيازي

٢٥٠ ق. ل

دار الاداب